رؤية استراتيجية: أميركا وأزمة القوة العالمية

STRATEGIC VISION

AMERICA AND THE CRISIS OF GLOBAL POWER

تأليف: زبيغنيو بريجنسكي

ZBIGNIEW BRZEZINSKI

يجيء هذا الكتاب الحديث لزبيغنيو بريجنسكي الذي عمل مستشارا للأمن القومي الأمريكي في مقدمة وأربعة أقسام وخاتمة ويشير المؤلف في المقدمة إلى أن العالم اليوم أصبح تفاعلياً ومترابطاً ذا اعتماد متبادل، حيث ولأول مرة أصبحت مشكلات البقاء الإنساني تلقي بظلالها على الصراعات التقليدية الدولية. وحيث إن القوى الرئيسية لم تقم بدورها حيال التحديات الجديدة والخطيرة المتزايدة في عالمنا اليوم.

وجاء القسم الأول بعنوان: « تراجع الغرب» في ثلاثة فصول أولها بعنوان ظهور القوة العالمية، والثاني بعنوان صعود آسيا وتشتت القوى العالمية، والثالث بعنوان تأثير الصحوة السياسية العالمية،

أما القسم الثاني فيخصصه لتقهقر الولايات المتحدة في القرن الحادي والعشرين وكان عنوانه: انحسار الحلم الأمريكي وجاء في أربعة فصول وهي:

١) الحلم الاميركي المشترك، ٢) ما وراء الانخداع (الوهم) الذاتي، ٣) القوة الأمريكية المتبقية، ٤) حرب أمريكا الامبراطورية الطويلة،

أما القسم الثالث فيناقش مايتوقع حصوله من فوضى عالمية قبل عام ٢٠٢٥ وجاء بعنوان: «العالم

بعد أمريكا». وهو في خمسة فصول:

الأول بعنوان: بحلول عام ٢٠٢٥، ليست الصين ولكن الفوضى، والثاني التسابق ما بعد أمريكا، والثالث أكثر الدول المهددة بالانقراض من الناحية الجيو- السياسية، والرابع نهاية حسن الجوار، والخامس غير المألوف في الشائع عالميا،

أما القسم الرابع فهو يقدم استشرافات للمستقبل والتي يركز فيها على رؤية لغرب قوي كبير وحيوي . بعنوان « ما بعد عام ٢٠٢٥: توازن لجيوسياسي جديد « وجاء القسم في ثلاثة فصول وهي: ١) تقلب أوراسيا الجيوسياسي، ٢) الغرب الأكبر والحيوي، ٣) الشرق الجديدالمستقر وتعاونية .

وجاءت الخاتمة بعنوان :» دور أميركا المزدوج» . وفي الخاتمة يرى المؤلف أنه يجب على أمريكا أن تعتمد دورا مزدوجا للاستجابة بفعالية في كل من المناطق الغربية والشرقية من أوراسيا .و يجب أن تكون المروّج والضامن لوحدة أكبر وأوسع نطاقا في الغرب، وأنه يجب أن يكون دورها الموازنة والتوفيق بين القوى الكبرى في الشرق.

وفيما يلي نقدم ترجمة حرفية لمقدمة الكتاب لأهميتها في القاء الضوء على الكتاب وأهم أفكاره والأسئلة المثارة في الكتاب.

نص المقدمة :

رؤية استراتيجية - زبيغنيو بريجنسكي

أصبح العالم الآن تفاعليا ومترابطا. انه أيضا، وللمرة الأولى ، عالم بدأت فيه مشاكل بقاء الإنسان تطغى على الصراعات الدولية التقليدية بشكل كبير. ولسوء الحظ، فإن القوى الكبرى لم تقم على الصعيد العالمي بإيجاد ردود فعل تعاونية للتحديات الجديدة والخطيرة المتزايدة التي تواجه رفاهية الإنسان والتحديات البيئية، والمناخية، والاجتماعية والاقتصادية، والغذائية أو الديموغرافية. وسوف يتعثر أي جهد لتحقيق التعاون العالمي اللازم بدون الاستقرار الجيوسياسي الأساسي.

والواقع أن التغير في توزيع القوة العالمية ، وتزايد حدة الظاهرة الجديدة المتمثلة في الصحوة السياسية الضخمة ، كل بطريقتها الخاصة، تعزز التقلب في العلاقات الدولية المعاصرة. ومع نمو نفوذ الصين والقوى الناشئة الأخرى – روسيا أو الهند أو البرازيل على سبيل المثال — وتنافسها مع بعضها البعض على الموارد، والأمن، والمنافع الاقتصادية، فإنه يزداد احتمال سوء التقدير والصراع.

وبناء على ذلك، يجب أن تسعى الولايات المتحدة لتشكيل أساس جغرافي سياسي أوسع نطاقا للتعاون البناء في الساحة العالمية، تستوعب التطلعات المتزايدة لسكان العالم القلقين بشكل متزايد.

ويسعى هذا الكتاب مع الأخذ في الاعتبار ما سبق ، الرد على أربعة أسئلة رئيسة:

١. مـا هـي الآثار المترتبة على تغير توزيع القوة العالمية من الغـرب إلى الشرق، وكيف تتأثر بالواقع الجديد للصحوة السياسية الإنسانية؟

٢- لمـاذا تتراجع الجاذبيـة العالمية لأميركا، ما هي أعراض التدهور المحـلي والدولي لأمريكا، وكيف أضاعت أمريكا الفرصة العالمية الفريدة التي أتيحت لها بنهاية سلمية للحرب الباردة؟ على العكس من ذلك، ما هي نقاط القوة لدى أميركا لاسـتعادة نفسـها(التعافي) وما هي اشكال إعادة التوجيه الجيو- السياسية اللازمة لتنشيط دور أميركا العالمي؟

٣-ماذا سـتكون العواقب الجيو - سياسـية المحتملة إذا انخفضت مكانة أمريكا البارزة على الصعيد العالمي، ومن الذين سـيكونون ضحايا الجيوسياسـية الفوريين لهذا الانحدار، وما هي تلك التأثيرات التي سـتكون على المشـاكل الممتدة على النطاق العالمي في القرن الحادي والعشرين، وهل يمكن أن تضطلع الصين بالدور المركزي للولايات المتحدة في الشؤون العالمية بحلول عام ٢٠٢٥؟

٤-وإذا مـا نظرنـا إلى ما بعد عام ٢٠٢٥، كيف ينبغي على أمريـكا المنبعثة من جديد تحديد أهدافها الجيوسياسـية الطويلة الأمـد، وكيف يمكن لأمريكا، مع حلفائها الأوروبيين التقليديين، أن يسـعوا إلى إشراك تركيا وروسـيا من أجل بناء غرب أكبر حجماً وأكثر قوة ؟ في نفس الوقت، كيف يمكن أن تحقق أمريكا التوازن في الشرق بين الحاجة إلى التعاون الوثيق مع الصين وحقيقة أن الدور الأمريكي البناء في آسيا ينبغي أن لا يكون حصرا مَركّزا على الصين ولا ينطوي على التورط الخطيرفي الصراعات الآسيوية؟

للإجابة عن هذه الأسـئلة في هذا الكتاب سـنبين إن دور أميركا في العالم سـيظل أساسيا في السنوات المقبلـة. والواقع أن التغيرات الجارية في توزيع القوى العالمية وتصاعد الصراعات العالمية تحتم على ضرورة عـدم تراجـع أمريكا إلى عقلية الدولـة الحامية الجاهلة أوتتخبـط في مذهب الترف الثقافي المعتدة بنفسـها. يمكن لمثل أمريكا هذه أن تسـبب التوقعات الجيوسياسـية لعالم متطور – حيث يتحول مركز الثقل من الغرب إلى الشرق – لتصبح خطيرة على نحو متزايد.

إن العـالم يحتـاج أمريـكا الحيوية اقتصاديـا الجذابة اجتماعيا، وذات المسـؤولية قويـة، المتعقلة استراتيجياً، والمحترمة دوليا، والمستنيرة تاريخيا للمشاركة العالمية مع الشرق الجديد.

مــا مدى احتمال تحقق مثل هذا الهدف العالمي لأمريكا؟ اليوم، مزاج أميركا التاريخي غير مســتقر، ومفاهيم انحدار أميركا كحتمية تاريخية اصبح موضة فكرية. غير ان هذا النوع من التشاؤم الدوري ليــس جديــداً ولا ذاتي التحقيــق. حتى أن الاعتقاد بــأن القرن العشرين كان «قــرن أميركا،» الذي انتشرعلى نطاق واســع في أعقاب «الحرب العالمية الثانية «، لم يســتبعد أطوارالقلق بشأن مستقبل أميركا على المدى البعيد في المستقبل.

وعندما أطلق الاتحاد الســوفييتي ســبوتنيك أول قمر صناعي مداري له، أثناء إدارة أيزنهاور، أصبح الأميركيون قلقين إزاء فرصهم في كل من المنافســة السلمية والحرب الاستراتيجية. ومرة أخرى، عندما فشــلت الولايات المتحدة في تحقيق انتصار ذي مغزى في فيتنام خلال سنوات نيكسون، وبثقة توقع قادة الاتحاد الســوفياتي زوال أميركا، بينما تاريخياً ســعى صناع السياســة الأمريكية المتشــائمون إلى الوفاق في مقابل الوضع القائم في أوروبا المنقســمة على نفســها.. ولكن ثبت أن أمريكا أكثر مرونة وانهار النظام السوفياتي في نهاية المطاف.

وبحلول عام ١٩٩١، في أعقاب تفكك كل من المعسكر السوفييتي وثم الاتحاد السوفييتي نفسه، بقيت الولايات المتحــدة الوحيــدة كقوة عظمى عالمية. ليس فقط في القرن العشرين ولكن حتى في القرن الحادي والعشرين بــدت متجهة لتكون القرون الأمريكية. وأكد كل من الرئيس الأميركي بيل كلينتون والرئيس جورج دبليو بوش ذلــك بثقــة. ورددت الدوائر الأكاديميــة تكهناتها الجريئة بــأن نهاية الحرب الباردة تعنــي في الواقع «نهاية التاريخ»فيما كان يتعلق بمناقشــات فقهية بشأن التفوق النســبي للنظم الاجتماعية المتنافسة. وأعلن انتصار الديمقراطيــة الليبرالية بأن ذلك الانتصار ليس فقط حاســماً بل كذلك نهائيــاً. ونظرا لأن الديمقراطية الليبرالية قد ازدهرت أولا في الغرب، كان الافتراض الضمني أن الغرب سيكون من الآن فصاعدا المقياس المميز للعالم.

ومــع ذلك، هذا التفاؤل الفائق لم يدم طويلا وثقافة الإشــباع الذاتي والتحرر من القيود التي بدأت خلال ســنوات كلينتون واســتمرت في عهد الرئيس جورج دبليو بوش أدى إلى انفجار فقاعة ســوق الأســهم في مطلع القرن، وفي وقت لاحق حدث انهيار واســع النطاق للســوق المالي في أقل من عشر سنوات. وقادت الأحادية المكلفة في فترة رئاسة بوش الابن لعقد من الحرب في منطقة الشرق الأوسط وخروجهــا عن القضبان في السياســة الخارجية عموما. وعجلــت الكارثة المالية عام ٢٠٠٨ تقريبا في كســاد اقتصادي فاجع، هــزّ أمريكا والكثير من الدول الغربية في اعــتراف مفاجئ بضعفها المنهجي نتيجة للجشــع غير المنظم. وعلاوة على ذلك، أظهرت الصين والدول الآســيوية الأخرى مزيجا محيرا من الليبرالية الاقتصادية ورأســمالية الدولة في قدرة مدهشة للنمو الاقتصادي والابتكار التكنولوجي.

وهذا دفع بدوره إلى قلق جديد حول مستقبل مركز أميركا باعتبارها القوة العالمية الرائدة.

في الواقع، هناك العديد من أوجه التشابه المزعج بين الاتحاد السوفياتي قبل سقوطه بسنوات فقط وأمريكا في أوائل القرن الحادي والعشرين. الاتحاد السوفياتي، مع نظام حكومي متزايد التعقيد أصبح غير قادر على سـن سياسـة جدية للمراجعات ، في الواقع أفلس نفسه بارتكاب نسبة مفرطة مغالى فيها كنسـبة مئوية من الناتج القومي الإجمالي لعقود طويلة لتنافس عسكري مع الولايات المتحدة، وتفاقمت هذه المشكلة باتخاذ تكاليف إضافية لعقد من الزمان- في محاولة لقهر أفغانستان.

وليس من المسـتغرب، أن الاتحاد السـوفياتي لم يسـتطع تحمل المنافسـة مع أمريكا في القطاعات التكنولوجية المتطورة، وسـقط بالتـالي من ورائها؛ وتعثر في اقتصـاده، وزاد تدهور نوعية الحياة في المجتمع بالمقارنة مع الغرب؛ وأصبحت الطبقة الشـيوعية الحاكمة غير مبالية بشـكل ساخر باتساع الفـوارق الاجتماعية بينما نفاقا أخفت نمط الحياة المميزة الخاصة بها؛ وأخيراً، أصبحت في الشـؤون الخارجيـة في عزلة ذاتيـة متزايدة، في حين عجّل العداء الضار من الناحية الجغرافية السياسـية مع حليفتها الرئيسية الأوروبية الآسيوية «الصين الشيوعية».

أوجه التشـابه هذه، حتى لو كان مبالغا فيها ، تحصّن الحالة أن أميركا يجب أن تجدد نفسـها وأن تواصل الرؤية الجيوسياسية بشكل شامل وطويل الأمد ، ومنها أن تستجيب لتحديات تغير السياق التاريخـي. وفقط من خلال أمريـكا الديناميكية والمتفتحة فكرياً ، جنبـا إلى جنب مع قيام أوروبا موحدة، يمكن دعم غرب أكبر وأكثر حيوية ، غرب قادرعلى العمل كشريك مسـؤول لمواجهة الشرق الناهـض الذي يـزداد حزما. وخلاف ذلك، يمكن للغرب المنقسـم من الناحية الجغرافية السياسـية احتمال انزلاقه إلى هبوط تاريخي يذكرنا بالعجز المهين للصين في القرن التاسع عشر، بينما يمكن أن يغري الشرق بتكرار تجربة المنافسات في قوة التدمير الذاتي لأوروبا في القرن العشرين.

وباختصار، أزمة القوة العالمية هي نتيجة تراكمية للتحول الحيوي الديناميكي لمركز الثقل في العالم من الغرب إلى الشرق، ومن تسارع ظاهرة تطفو على السطح ولا تهدأ للصحوة السياسية العالمية ، ونقص في أداء أمريكا المحلي والدولي منذ ظهورها كقوة عظمى بحلول عام ١٩٩٠ والوحيدة في العالم.. ما سـبق يشـكل مخاطر جدية أن تمتد الى أجل طويل لبقاء بعض الدول المهددة بالانقراض، للأمن العام العالمي، وللاسـتقرار العالمي بوجه عام. ويسعى هذا الكتاب إلى بيان الرؤية الاستراتيجية المطلوبة، للنظر إلى ما بعد عام ٢٠٢٥.

د. صالح خليل أبو أصبع